محاضرة الآنسة مى

للدكتور طه حسين

لا اعرف شيئا يحتاج الى أن يقام عليه الدليل ، والى ان يتكلف أصحاب المنطق والنظر له الحجج والبراهين ، كالبديهيات التي يخيل الى الناس أنها أوضح من أن تحتاج الى دليل ، وأبين من أن تحتاج الى أن تكد في إثباتها العقول ، وقد زعموا لنا ان بعض أصحاب الرياضة يشك في أوليات الرياضة ، ومن يدري لعل شكهم هذا ينتهي إلى أن هذه الاوليات بعيدة كل البعد عن ان تكون من الاوليات ! . كنت أفكر في هذا كله أمس ، حين كنت أذهب الى الجامعة الامريكية ، لأسمع للمحاضرة التي كانت الآنسة الجليلة « مى » تريد أن تلقيها ، لأن موضوع هذه المحاضرة كان يدعو الى مثل هذا التفكير ، فقد زعموا لنا أن الآنسة كانت تريد أن تظهر فضل المرأة على الحضارة الانسانية ، وأعترف بأني لم اشك في يوم من الايام ولا في لحظة من اللحظات بأن للمرأة على الحضارة الانسانية فضلا لا يجحد ، كما أن للرجل على الحضارة الانسانية فضلا لا يتاح الشك فيه الا لامثال هؤلاء الرياضيين الذين لا يجزمون بأن الاربعة اذا قسمت على اثنين كانت نتيجة القسمة أثنين ، وكنت اسأل نفسي عما تريد الآنسة « مى » ان تقول لتبين لنا فضل المرأة على الحضارة الانسانية ، فذلك شيء لا يحتاج الى أن يقول فيه قائل ، أو الى أن يثبته مثبت ، ولكن ما رأيك في أني سمعت المحاضرة ، وانصرفت الى داري وأنا أشك شكا عظيما في أن للمرأة فضلا على الحضارة الانسانية ؟ وأسأل نفسي عما أرادت الآنسة « مى » اليه بمحاضرتها القيمة الممتعة ، أأرادت أن تقنعنا بان للمرأة فضلا على الحضارة ؟ أم أرادت أن تشككنا في ذلك ؟ وتبسط عليه سلطان الريب في نفوسنا ، ومن يدري لعل أديبا من الادباء البارعين أن يفكر ذات يوم في أن يثبت فضل الرجل على الحضارة فينتهي في نفسي الى ما انتهت اليه الآنسة « مى » أمس من اثارة الشك والريب . واذن أنا مقتنع بان الحضارة الانسانية قد أنشأت نفسها وليس للرجل عليها فضل ، ولا للمرأة عليها فضل ، وانما هي صاحبة الفضل عليهما جميعا لانها أنشأتهما إنشاء ، ومنعتهما عما ينعمان به من لذات الحياة وآلامها ، فهما ينعمان بالآلام كما ينعمان باللذات ، وآية ذلك أن الآلام تلهمهما روائع الشعر والنثر والفن ، وتحيي في نفوسهما من الفضائل ، وجميل الخلال ما يملؤها متاعا ولذة وشعورا بالكرامة ، وأملا في المستقبل وحبا للحياة ، فالرجل والمرأة إذن ينعمان بالآلام كما ينعمان باللذة ، ولعل أديبا من الأدباء الذين لهم حظ الآنسة « مى » من البراعة وانهم لقليلون ، يستطيع ان يقنعني كما اقنعتني الآنسة أمس بان ليس للرجل على الحضارة فضل ، كما أنه ليس للمرأة على الحضارة فضل ، وانما الفضل للحضارة عليهما جميعا . ابنأتنا الآنسة أمس بان المرأة وحدها هي التي أنشأت الحضارة انشاء ، وأعانتها على التطور والرقي ، وابتكرت ما يزينها من العلوم والفنون والآداب ، فأما ان المرأة أنشأت الحضارة انشاء فشيء فيما يظهر لا سبيل إلى الشك فيه ، لان كتب الدين كلها تنبئنا به ، فلولا أن حواء اغواها الشيطان فأكلت من الشجرة ، وعضت تلك التفاحة لما طرد آدم وزوجه من الجنة ، ولولا انهما طردا من الجنة لما هبطا إلى الأرض ، ولولا انهما هبطا الى الارض لما عملا فيها ، ولولا أنهما عملا فيها لما كانت الحضارة ، واذن فالحضارة اثر من آثار حواء ، لأن حواء هي التي أكلت من الشجرة ، وهي التي جرت على نفسها وعلى زوجها هذه العقوبة ، واذن فنحن الرجال ننعم بالحضارة راغمين ، ننعم بها لأن خطيئة أمنا حواء قد اكرهتنا عليها اكراها ، ولكن حواء لم تأكل من الشجرة لانها اشتهت ما كانت تحمل الشجرة من التفاح ، وانما أكلت من الشجرة لان الشيطان هو الذي دلها على الشجرة ، وزين لها التفاحة ، وحببها الى قلبها ودفعها الى أن تأكلها دفعا ، والغريب أن حواء لم تأكل من الشجرة وحدها . وإنما أكل معها زوجها ، وأكبر الظن انهما اقتسما التفاحة نصفين ، فذهب كل منهما باحد شطريها ، فالحضارة إذن ليست أثرا من آثار حواء وحدها ، وإنما هي أثر من آثار حواء وآدم أيضا ، وإذن فلنا نصف الحضارة وللنساء نصفها ، ولكن النساء لا يكرهن الظلم ولا يأبين التجني ، وأعظم من هذا أن أبانا آدم وأمنا حواء إنما دفعهما الشيطان إلى هذه التفاحة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ثم طردا منها طردا ، فليست الحضارة إذن من آثارهما ، وإنما هي أثر من عمل الشيطان . والشيطان رجيم ، فلترجم معه الحضارة

وليت شعري أما تتمدح به المرأة ، انها قد أنشأت الحضارة على هذا النحو ، وأقامت بناءها الشاهق على الخطيئة ، وبدأتها هذا الابتداء السيء

الذى هو إعراض عن أمر الله ، واقبال على أمر الشيطان ، اليس من حقنا نحن الرجال أن نلوم المرأة ، ونغرق فى لومها لانها لم تستطع أن تقاوم الشيطان ولا نهادفعتنا الى هذه الحضارة الآثمة دفعا ؟ ومن يدرى لو أن أمنا حواء لم تقترف هذا الاثم ، ولم تتورط فى هذه الخطيئة ، ولم تفتتن بحديث الشيطان ، ولم تتهالك على طعم التفاحة وريحها ولونها أيضا ، من يدرى لعلها لو لم تفعل شيئا من ذلك لنشأنا نشأة أخرى

ولعل هذه النشأة الأخرى ان تقيم لنا حضارة اطهر من حضارتنا هذه وانقى وأشد امتناعا على الآثام وبعدا عن السيئات ، بل ليس من شك فى ان امنا حواء لو اطاعت أمر الله ، وعصت امر الشيطان لعصمتنا من الشر ، وبرأتنا من النكر ، وحمتنا من كل ماتتعرض له من الوان الغى والبغى والضلال والفساد ، فلم تحسن امنا الينا اذن بانشاء الحضارة ، ومتى كانت اطاعة الشيطان احسانا ؟

ولكننا نحن الرجال نحب العدل ونكلف بالرحمة . ونكره البغيان ، ولا نريد ان نستقل المرأة بوزر هذه الحضارة ، وتحتمل وحدها آثامها واثقالها ، فنحن نشارك فى هذه الآثام والاثقال ، لأننا نعترف بان أمنا لم تأكل التفاحة وحدها ، ولو قد اكلتها وحدها لطردت من الجنة وحدها ، ولو قد هبطت الى الارض وحدها لما استطاعت ان تعمل ولا ان تجد ، ولا أن تنشىء حضارة ولا ان تعيش ، فهى محتاجة الى الرجل لتحسن ، وهى محتاجة الى الرجل لتسعد ، لم تعش فى الجنة وحدها قبل الخطيئة ، ولم تهبط الى الارض وحدها بعد الخطيئة ، وانما عاشت فى الجنة مع الرجل ، وهبطت الى الارض مع الرجل ، اطاعت أمر الله مع الرجل ، وأطاعت الشيطان مع الرجل ، واكلت التفاحة فموت مع الرجل ، ونحن الرجال اكرم مما تظن الآنسة مى ، واحب للرحمة واحرص على العدل . فنحن لا نحمل أمنا حواء شيئا من الاثم ، وانما نحمل هذا الاثم كله أبانا آدم ، ولا بأس عليه من ذلك فقد تلقى من ربه كلمات بعد ذلك فتاب عليه ، ذلك أن حواء لم تخلق من الطين مباشرة كما خلق آدم ، وانما خلقت من آدم ، فآدم هو الذى سبقها الى الوجود ، وهو الذى سبقها الى الحياة ، واذا كانت قد خلقت منه ، فقد اخذت عنه هذا الضعف الذى حبب اليها التفاحة ، ودفعها الى الخطيئة ، ثم الى انشاء الحضارة ، فما فى طبيعتها من الضعف مستمد من الرجل ، وما فى طبيعتها من القوة مستمد من الرجل ، وإذن فليست هى التى تحتمل وزر التفاحة ، وما نشأ عنه من الآثار ، وانما يحتمله آدم ، ثم يحتمله بعده ابناؤه من الرجال ،

أرأيت يا آنسة اننا اكرم مما تظنين ، واحرص على العدل مما تظنين ؟ ليست الحضارة خيرا ، وانما هى شر لأنها من عمل الشيطان ، فنحن نرفع عن النساء اثقالها ، ونحمل عن النساء اوزارها ، وأى شىء نستطيع أن نبخل به لحماية النساء من كل شر ، ووقايتهن من من كل وزر ، كلا ، للمرأة على الحضارة فضل عظيم ، وهو أنها لم تنشئها وانما احتملتها ، ولم تقترف اثمها وإنما خففت هذا الاثم وهونت علينا احتمال اثقاله ، واعانتنا على ما تكلفنا الحضارة فى كل يوم من البأساء والضراء ، اليس هذا خيرا من ايثار السبق ، وهذه الرغبة فى التفوق التى تظهرها المرأة فى هذه الأيام ، وأغرب من هذا ان الآنسة مى تحدثت الينا أمس بانا مدينون للمرأة وللمرأة وحدها باعتدال القامة ، واستقامة القدود ، والمشى على رجلين بعد أن كنا نمشى على أربع ! ومع انى لا اعرف كيف استطاعت المرأة ان تقوم قاماتنا وتعدل قدودنا وتقيمنا على رجلين بعد أن كنا نمشى على أرجلنا وايدينا ، مع أنى لم أعرف هذا ، ولن استطيع ان اعرفه فيما يظهر لأنى لم افهم نظريات التطور ، وانا يائس من فهمها بحمد الله ، فانى قد غمرتنى الحيرة أمس حين سمعت هذا الكلام ، فهل كنا نمشى على أربع بعد أن هبطنا إلى الأرض ؟ أم هل كنا نمشى على أربع قبل أن نخرج من الجنة ؟ فان تكن الأولى فلم مسخ آباؤنا ، وقد كان أبونا آدم وأمنا حواء يمشيان على رجلين لهما قامة معتدلة وقد مستقيم ، وان تكن الثانية فلم يكن اذن ابوانا على صورتنا هذه التى نعرفها ، انما كانا يمشيان على أربع ، لم يكن رأساهما الى السماء ، انما كان رأساهما الى الارض ، فنحن خير منهما حالا ، وأجمل منهما شكلا من غير نزاع ، ومصدر هذه الحيرة فيما يظهر هو أن الآنسة «مى» ارادت ان تجمع بين العلم والدين ، وما أصعب الجمع بينهما فى كثير من الاحيان ! فالدين فيما يظهر لا يرضى لنا ان نكون من نسل القردة ، والعلم أو بعض العلم على أقل تقدير لا يكره ان نكون من نسل القردة او غير القردة من الحيوان ، والآنسة «مى» تريد ان نكون من نسل القردة وان

(البقية على صفحة ٤٧٧)

المادة لا تنعدم

للأستاذ احمد امين

هكذا يقول علماء الكيمياء ويشرحون قولهم ، ويبرهنون عليه . ويرون أن المادة تتغير وتتحول وتعود الى عناصرها الأولى ولكن لا تنعدم ، والعالم كله كساقية جحا : تغرف من البحر وتصب فى البحر ، فقد يحترق هذا المكتب الذى أمامى لا قدر الله ، ولكنه سوف لا ينعدم ، بل يتحلل الى عوامله الأولية . وسيتغذى منها النبات ويتكون منها خشب جديد ، قد يكون مكتب المستقبل .

قال الكيميائيون ذلك ، وقصروا قولهم على المادة لانها مادة عملهم وموضع تجاربهم .

ولو عرض لهذا فيلسوف واسع النظر غير محدود البحث لقال « لا شىء ينعدم »

ان الاعمال من خير وشر لا تنعدم ، بل تنمو وتتحول ، وتؤثر وتتأثر ، ولكن على كل حال لا تنعـــدم ، ان كذبة واحدة تكذبها على أولادك فى بيتك ، ومن غير أن تعيرها اهتماما لا تنعدم ، فسوف تبيض وتفرخ وتنتج كثيراً من أمثالها ، وسوف يكذب أولادك وستخرج الكذبة من حجرتك الى سائر بيتك ، وستخرج من بيتك الى المدرســـة ، وستخرج من المدرسة الى مصالح الناس ومعاملتهم فكيف تنعدم

قد يدق العمل ويصغر حتى لا تراه أعيننا . ولا تسمعه آذاننا ، ولا تشعر به نفوسنا ، ولكنه موجود ، يعمل عمله فى هذا الوجود ، ويفعل وينفعل ، ويتسع نطاقه ، ويعمل فى دوائر مختلفة قد لا تخطر بالبال ، وما أظنك تجهل أن حصاة ترميها فى البحر الابيض المتوسط لابد أن يتأثر بها المحيط الاطلنطى ، وان لم ترذلك عيوننا . والدليل على ذلك بديهى ، فلو كبرت هذه الحصاة ملايين المرات ، أفلا تؤمن بهـــذا الاثر ؟ اذن فآمن بأن هذه من تلك وعلى نسبتها ومقدار حجمها ، وجزء من ألف من الشعرة له ظل حقيقى وان لم تره عيوننا ، ولولا ذلك لما كان لالف ألف شعرة ظل . ولما كان لثوبك الذى تلبسه ظل

وعملك الخير مهما صغر له أثره فى أمتك مهما صغر . أعلنته أو أسررته ، نجحت فيه أو فشلت ، علم الناس أنك مصدره أو لم يعلموا ، وهل مقياس رقى الامة وانحطاطها الا عبارة عن عملية حسابية مركبة من جمع وطرح ؟ جمع لما صدر منها من حسنات ، وطرح لما صدر من سيئات . لتكن هذه العملية أشد ما تكون من صعوبة ، ولتحتج الى ما شئت من آلاف دقيقة للجمع والطرح ، فان رسم الحل لهذه المسألة فى منتهى البداهة

وليس الأمر قاصرا على الاعمال . فاذا قلنا « الاعمال لا تنعدم » فهو تكرير لقول الطبيعيين « المادة لا تنعدم » وهل الاعمال الا نوع من المادة ؟

بل الافكار والآراء من هذا القبيل . فالفكرة لا تنعدم . والرأى لا ينعدم ، فاذا دعوت الى فكرة أو جهرت برأى ، فقد أخرجت الى الوجود خلقا جديدا ينطبق عليه القانون العام ، قد ينجح الرأى وتعتنقه الامة ، بل ويعتنقه العالم وتظهر آثاره فى أعمال الناس وحياتهم ونظامهم . فتسلم معى بأنه لم ينعدم ولكنه قد يفشل ، وقد يستعمل الناس فى اضطهاده وحربه كل أنواع الاسلحة المشروعة وغير المشروعة . والرفيعة والوضيعة . حتى يختفى ولا يظهر فى الوجود ، فتظن اذذاك انه انعدم ، وهو ظن غير موفق ، فقد يختفى ليعود ان كان صالحا ، ولكن كان قبل أوانه ليستتر وينكمش ، ويبقى حيا يتغذى فى الخفاء وتنميه الاحداث . حتى اذا تم نموه وتهيأ الناس له برز الى العيون ثانية أو ثالثة وهو أشد على مقاومة الحرب ، وأقوى على مصارعة الباطل ، حتى يكتب له النجاح — وحتى اذا كان الرأى فاسدا سيئا لا يصلح لحال ولا لمستقبل فليس مما ينعدم ، إنما هو يتحول ويتحور كلوح خشب لا يصلح بحالته ان يكون شباكا فينجر ، أو لوح زجاج ليس بالحجم الذى تريده فيصغر ، أو حديدة لا يناسب شكلها وحجمها فتوضع فى قالب جديد بعد أن تصهر ، وهكذا فى الرأى يغير ويعدل ، ويطعم بآراء أخرى حتى يخرج خلقا آخر ، ولكنه فى كل ذلك لا ينعدم